

من هذا. عش بحسك وقلبك وضميرك، وتخفف من عقلك بين حين وحين. عش عيشة الإنسان الحي لا عيشة العالم الباحث؛ فإن للعلم والبحث وقتاً مقسوماً من حياة الناس، وما ينبغي أن تكون حياتهم كلها علماً وبحثاً وتعليلاً وتحليلاً.»

قال وقد أدار ذراعه حول خصرها اللطيف الرَّخِص: «فإني لا أسألك الآن سؤال الباحث المستقصي، وإنما أسألك سؤال المحب المدنف، فقد عرفتكَ.»

قالت: «قد عرفتني! واحرباه! ستزهد فيَّ إذاً قبل أن يتقدم النهار»، ثم أغرقت في ضحك غامض طويل.

قال: «قد عرفتكَ ولن أزهد فيكَ! لأن معرفتي إياك تدفعني على الاستزادة منك؛ فأنت قصص دائم لأنك سحر دائم، أخص ما تمتازين به أنك تشغليني عن نفسي وعن ملكي وعما حولي وعن حولي، بل تشغليني عنك أيضًا.»

قالت وقد أغرقت في الضحك: «إن كنت أشغلك حتى عن نفسي، فما أدري كيف تفكر في أو تسأل عني. ألا يمكن ألا أكون شيئاً ما دمت أشغلك عن كل شيء؟! ألا يمكن أن أكون شيئاً غيرك، فأنت تُشغل بنفسك عن كل شيء وعن كل إنسان؟! ولكنك أنبأتني بأني أشغلك عن نفسك. صدّقني إني لا أفهم عنك، وما أرى إلا أنك تمنعني في فلسفة أشد مني غموضاً وأعظم مني استعصاء على الفهم. دع الفلسفة ودع التفكير، وتعال ناعم بهذه الساعات الحلوة التي تتاح لنا والتي نختلسها أو أختلسها أنا لك ولي من تكاليف الحياة. إني أشغلك عن نفسك وأشغلك عن نفسي وأشغلك عن كل شيء. ولكن ما رأيك في أن شيئاً لم يشغلني عن أن النهار يتقدم، وعن أننا نوشك أن نجد لذع الجوع، وعن أن من الحق علينا أن ننتهي للغداء؛ ذلك أخرى أن يتيح لنا الإغراق في الفلسفة والإمعان في البحث عما وراء الطبيعة. هلم يا مولاي، فسترى أن هذا النعيم الحلو الذي استمتعنا به الآن ليس شيئاً بالقياس إلى ما هيأت لك شهرزاد هذه التي لا تعرف من هي ولا تدري ماذا تريد.»

وكانت شهرزاد قد هيأت للملك نعيمًا لم يكن يُقدَّر أنه سيتاح له في يوم من الأيام، منذ حمرة الدماء تلك التي كانت تصبغ في نفسه أعقاب الليل ووجه النهار من كل يوم، فقد كان منذ تلك الأيام السود والليالي البيض قد ألف الحزن حتى لا يقلت منه إلا الحين بعد الحين، حين كانت شهرزاد تقص عليه بعض أحاديثها أو تمتعه ببعض ما كانت تهدي إليه من سعادة حيناً بعد حين. فأما نعمة البال ورخاء العيش وراحة الضمير وهدوء النفس المتصل، فقد كانت أشياء حُرِّمت على شهریار وقُطعت بينه وبينها الأسباب، فلما تقدم النهار وكاد أن ينتهي أقبلت شهرزاد بالملك على غرفة من غرفاتها في القصر وهي